جيل الخلافة

قِصَصُ الْقُرْآنِ

المجموعة القصصية [المستوى التمهيدي]

الثَّلاثَةِ الذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الجِهَادِ

أَعْلَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكٍ لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِيَتَأَهَّبُوا، وَلِيُعِدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عُدَّتَهُ؛ فَيُجَهِّزَ دِرْعَهُ وَسَيْفَهُ وَحَاجِيَاتِهِ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يُؤَجِّلُ تَجْهِيزَ نَفْسِهِ وَإِعْدَادَهَا، وَغَرَّتْهُ فُتُوَّتُهُ وَشَبَابُهُ، فَكَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى إِنْهَاءِ عُدَّتِي أَنْهَيْتُهَا فِي وَقْتٍ يَسِيرٍ، فَكَانَ هَذَا يَدْفَعُهُ إِلَى مَزِيدِ تَأْجِيلٍ.

حَتَّى عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَادَرَ بِالْجَيْشِ، فَقَالَ أُعِدُّ عُدَّتِي وَأَلْتَحِقُ بِهِمْ غَدًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبَادِرِ إِلَى ذَلِكَ مِنْ فَوْرِهِ، بَلْ أَخَذَ يُؤَجِّلُ أَمْرَهُ حَتَّى اِنْتَهَى وَقْتُ الْخُرُوجِ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَكِبَارُ السِّنِّ الَّذِينَ عَذَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى!

فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا؛ لِتَفْرِيطِهِ!

وَعِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اِنْتَهَى مِنَ الْقِتَالِ، وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى الْمَدِينَة، أَصابَهُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ، وَلَم يَدْرِ كَيْفَ سيُبَرِّرُ تَرْكَهُ لِلْجِهَادِ، مَاذَا سَيَكُونُ عُذْرُهُ؟ فَأَخَذَ يُفَكِّرُ هَلْ يَخْتَلِقُ عُذْرًا لَهُ؛ حَتَّى لَا يَغْضَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

وَلَكِنَّهُ حَدَّثَ نَفْسَهُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، فَكَيْفَ يَكْذِبُ وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ؟!

فَاسْتَحَى مِنَ اللَّهِ، وَعَلِمَ أَنْ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلّا بِالصِّدْقِ؛ فَاللَّهُ يُحِبُّ الصِّدْقَ وَأَهْلَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَخَلُّفِهِ، قَالَ كَعْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

"وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَوْ كَذَبْتُ عَلَيْكَ لِتَرْضَى عَنِّي؛ لَيُوشِكُ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَإِنْ صَدَقْتُكَ الْقَوْلَ؛ فَعَلِمْتَ أَنِّي مُخْطِئٌ وَمَا كَانَ لِي عُذْرٌ، بَلْ كُنْتُ فِي أَشَدِّ قُوَّتِي وَشَبَابِي، أَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيَّ بِصِدْقِي".

فَأَقَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصِدْقِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ مَا يَقْضِي اللَّهُ فِيهِ، فَسَأَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ إِذَا كانَ مِنْ أَحَدٍ مِثْلَهُ؛ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ مُرَارَةَ بْنَ الرَّبِيعِ، وَهِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ حالُهُمْ كَحَالِهِ، وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا قَالَ لَهُ.

فأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِالْامْتِنَاعِ عَنِ الْحَدِيثِ مَعَهُمْ هُمُ الثَّلَاثَةُ، فَكَانَ ذَلِكَ شَدِيدًا عَلَيْهِمْ جِدًّا، وَاستَمَرَّ ذَلِكَ خَمْسِينَ يَوْمًا؛ اخْتِبَارًا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَيَصْبِرُونَ عَلَى أَمْرِهِ؟ أَمْ يَسْخَطُونَ؟ وَلَكِنَّهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي نَدَمِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ؛ فَتَحَمَّلُوا كُلَّ ذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَعْفُوَ عَنْهُمْ.

وَفِي الْيَوْمِ الْخَمْسِينَ، كَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْفَجْرَ؛ فَإِذَا بِمَنْ يُنَادِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ"،

فَخَرَّ كَعْبٌ سَاجِدًا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَابَ عَلَيْهِ، فَمِنْ شِدَّةِ فَرْحَتِهِ خَلَعَ ثَوْبَهُ الَّذِي عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ لِمَنْ بَشَّرَهُ، وَمَا كَانَ يَمْلِكُ غَيْرَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَسْرَعَ كَعْبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَمَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَسَلَّمَ كَعْبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وهَنَّأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلى تَوْبَةِ اللّهِ عَلَيْهِ.

وَقَام طَلْحَة بْن عُبَيدِ اللّه إِلَى كَعْبٍ يُهَنِّئُه، ولَمْ يَقُم أَحَدٌ مِن المُهَاجِرِين غَيْرُه؛ فَلَم يَنْسَ كَعْب هَذا المَوقِف لِطَلْحَة طِيلَةَ حَيَاتِه.

وَقَرَّرَ كَعْبُ أَنْ يُخْرِجَ مَالَهُ كُلَّهُ إلّا سَهْمًا لَهُ صَدَقَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ كَعْبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ مَا أَنْجَاهُ إِلاَّ بِالصِّدْقِ، وَعَاهَدَ نَفْسَهُ أَنْ لاَ يُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقًا،

وَكَانَ صَادِقًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَلاَ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ أَبَدًا،

قَال اللّه عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة 119).

إِنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ وَرِفْعَةٌ لِصَاحِبِهَا،

أَمَّا الكَذِبُ فَعَاقِبَتُهُ الخِزْيُ وَالنَّدَامَةُ.

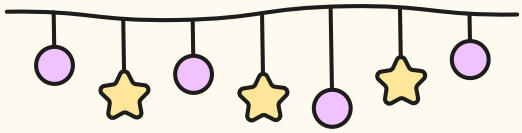

تم بحمد الله

جيل الخلافة

قِصَصُ القُـــــرْآنِ
المجموعة القصصية
[المستـوى التمهيـدي]